فاستوى على ظهر السفينة فاذا هي مكتنفة بالماء واذا نسيم بحري بليل هب عليها فاجراها

ثم يسير المركب به وهو يتنقل على متون الامواج صاعداً هابطاً مائلاً ذات اليمين وذات الشمال متوغلاً في البحر يحدق به افق ازرق احداق الاطار الزمردي وعندما يتحرك المركب يرى الزائر انه في ميناء مرسيليا ويقع نظره على منازلها وحدائقها وروابيها كما تتمثل في ساعة الاصيل بهجة للناظرين ثم يرى انه اخذ يتباعد عنها وانه مر بين حصونها وانها قد اخذت ترق في عينيه حتى تتوارى

وبعد هنيهة من التوغل في البحر تنسدل سجوف الظلماء بحالتها الطبيعية ثم تتمثل لديه مدينة البندقية وهي مدينة شهيرة في ايطاليا شوارعها كترع الماء وابنيتها نخيمة جميلة ولصناع الزجاج فيها براعة نادرة وهم يلونون الانوار فيها بما يشاء الله من الالوان العجيبة فاذا جاء المساء اوقدت فيها الانوار ولها الوف من الالوان في الوف من المصابيح البديعة وارتسمت تلك الانوار كلها في المياه فكان منظرها اعجب شيء يفتخر به الليل على النهار

وبعد ان يمتع المسافر طرفه بهذه المشاهد يستمر سير مركبه به الى ان يصل الى ثغر نابولي الايطالي وهو من اجمل مواقع الارض بجماله الطبيعي فيدركه عند طلوع الفجر وطلعة الفجر آية الحسن في تلك المدينة

ثم يستمر المسير الى ان يصل المركب الى جزيرة سافص فيرى هنالك حركة الميناء ونزول الركاب وصعود رهط من النساء المتزيات بالزي التركي الموزرات المبرقعات ينزلن من الميناء الى زورق ويستعن ببعض الخدم السود

وبعد ذلك يستأنف السير في عرض البحر فيرى مرور اسطول انكليزي

عظيم واسطول فرنسوي مثله ثم تهب عاصفة شديدة بالمركب ومن فيه فيشتد عصف الرياح وتقلب السفينة ويصاب الركاب بالدوار ثم لا يلبثون ان يروا الهياج قد انقلب الى سكون وتعود السفينة فتدخل مرسيليا من حيث اتت ثم يبرح الزائر الغرفة واذا هو في منتصف معرض باريز يقول لنفسه وهو لا يصدق ما راى وما سمع الحمد لله على السلامة

لو جاء المسيح

عنوان غريب في ظاهره او ظهوره في هذه المجلة التي لا علاقة لها بشيء من الاديان وواضعيها عليهم السلام ولكنه يتضمن كلاماً جديراً بالذكر حرياً بان يكون منبهاً لذوي الحكم والامر

فقد نشرت احدى جرائد لندن فصلاً قصيراً تحت عنوان « لو جاء المسيح الى لندن » قالت فيه ان احد الواعظين من الانكليز خطب منذ ايام خطاباً على جمهور من قومه فقال لهم ان المسيح لو جاء الى لندن فان اول عمل يباشره يكون ذهابه الى بعض ارباب الشركات التجارية فيعاقبهم اشد العقاب لارسالهم الى افريقيا كل عام نحو ثلاثة الاف طن من ادراء الخمور واكثرها افساداً واضراراً بتلك الشعوب الجاهلة المسكينة

ولو جاء المسيح الى لندن فانه يذهب الى جريدة الدايلي كرونكل ويساعدها في منع الشقاء الشديد عن الفقراء الذي يؤدي بهم الى ارتكاب

الجرائم الفظيعة ثم تنتهي حياتهم الى اشد الويل والذل ثم يذهب بعد ذلك الى جريدة الدايلي نيوز منادياً معها بوجوب الرفق والعناية بالاطفال والاولاد الصغار الذين ينام منهم على قوارع الطرق في لندن وحدها سبعمئة غلام في كل ليلة حتى ليالي الشتاء الكالحة ولا يعولهم احد ولا تلتفت اليهم حكومة ثم يقيم هناك محكمة يحاكم بها الشعب والحكومة ويعاقبهم اشد العقاب لتركهم مئات من الاولاد الصغار يرسلون الى المعامل والمصانع قبل ان يدركوا شيئاً من العلم الواجب فيخرجون جهلاء لا يعلمون من الدنيا ما ينبغي ان يعلم ثم يحملون فوق ذلك من شدة التعب والنصب وكثرة الوقت في الشغل ما لا يطاق وكل ذلك باجرة لا تزيد عن ثلاثة غروش في اليوم ثم يجمع العالم كله بعد ذلك الى مؤتمر عظيم يدعوهم به الى منع الحرب ومساعدة قيصر روسيا في نزع السلاح

ذلك ما قاله هذا الواعظ الانكليزي مشيراً به الى حالة بلاده وهي كما يعلمها القراء او يسمعون عنها من اكثر بلاد الدنيا مدنية واوفرها جهداً وتعمداً لتهذيب الفقراء وصيانتهم واما نحن فنستخدم قول ذلك الواعظ ونقول ان السيد المسيح لو جاء الى هذا القطر لكان يشرف مجلة انيس الجليس ويساعدها فيما بدأت به وكتبته في كل جزء من اجزائها عن حالة الفقراء والاطفال والاولاد في هذه البلاد فان الواعظ يشكو من تلك الثلاثة الالاف طن التي ترسل الى اهالي افريقيا في كل شهر فتذهب بعقولهم وآدابهم واموالهم وتكون ذريعة لهم لارتكاب الموبقات واجترام المحرمات واما نحن فلمن نشكو في بلادنا ورود مئات الوف من زجاجات الخمر القتالة التي يصرع بها عقول الوف من فقراء شعبنا وخاصته الذين اصبحت مجامعهم الحانات ولهوهم الوحيد

من الدنيا شرب الخمر

ويشكو الواعظ من قلة العناية بالفقراء واهمال الاولاد الصغار وترك مئات منهم ينامون على قوارع الطرق يموتون برداً وجوعاً واما نحن فلمن نشكو حال الالوف من اولادنا المساكين الاشقياء الذين ينامون على قوارع الطرق في كل القطر واذا ناموا في منازلهم راوا الشوارع اقل منها قذارة واحسن حالاً ولمن نشكو ترك بناتنا واولادنا الصغار يمرحون في الازقة والحارات مدارسهم مواطن الاقذار ودروسهم كلمات البذاءة ومصيرهم السرقة والفجور واحتراف دنيئات الاعمال ولمن نشكو حال عشرات الوف من كبار لرجال والنساء الذين يولد الواحد منهم في مدينة او قرية وهو يظن انها الدنيا كلها وانه لا عالم سواها ولمن نشكو فساد كل شيء ادبي في هذه البلاد وقيام الخلاعة والجهل مكانه

ان بلادنا لا تحتاج الى نبي او مرسل يدلنا على عيوبنا ويساعدنا في الشكوى منها او يتولى اصلاحها فان حكامنا هم لدى الحقيقة خلائف الانبياء والقائمون بانفاذ شرائعهم ووصاياهم الغراء فلذلك نحن نحتاج الى واحد منهم يقرأ هذه الشكاوى ليعلم وهو في قصره ماذا يريد ذلك الطفل الصغير الملقى على الطريق وماذا يكون مصير تلك الفتاة الفقيرة التي لا منزل لها الا الحارات ولا زوج لها في المستقبل الا العار ثم ماذا يكون نصيب هذه الامة الشقية حين يموت جيلها الحاضر ويبرز ابناؤها الآتون تاركين جهل آبائهم الذي كان يقود الى البساطة والوداعة ومتحلين بفضائل الاسواق وعلوم مجالس الحشيش والحانات التي قاد اليها العلم بهذه المدنية الجديدة

ثم نحن نجد الكثيرين من الكتاب وارباب الجرائد يندون اشد التنديد

بالشرقيين ويصفونهم بالخمول والانحطاط والجهل وهي اوصاف حقيقية صادقة ولكن الاحق باللوم فيها انما هم الحكام انفسهم لان هذا الرجل العامي الجاهل لا يدري ما هو الفساد فيجتنبه ولا ما هو الصلاح فيلتمسه ولذلك كانت حقيقة التنديد واقعة على الذين يدرون الفرق بين الحالين ولا يدلون عليه ولكن الدلالة على ذلك الفرق لا تكون بنشر الوعاظ في البلاد كذلك الواعظ الانكليزي ولا تقوم بكلام الجرائد وبمثل هذا الكلام الذي يبعث الاسى في القلوب دون ادنى نفع حسي بالاطلاق فانهم كلهم يدرون جميع ما ينقصنا بل ان كل الذي ينبغي لنا هو الانفاذ والفعل والتعاون المالي على الاصلاح الفعلي الحقيقي وذلك لا يكون اولاً الا من الحكومة ثم يتلوها الشعب بعد ذلك متى ذاق حلاوة العلم والتهذيب ورأى ما ناله منهما من المنافع الادبية والمادية

وخذ دليلاً لذلك ما فعله محمد علي باشا مهذب هذه البلاد وممدنها فانه اول من فتح المطابع وانشأ الجرائد وطبع الكتب العديدة واول من ساق الشعب بالقوة تقريباً الى التعلم ولولاه رحمه الله لما رأينا في بلادنا مطبعة ولا مدرسة ولا كان من بني وطننا طبيب فاذا كان رجل واحد تمكن في عهده ان ينتشل بلاد مصر من حضيض الذل والجهل الى هضبة من الادب والمعرفة فكم تكون النتيجة لو جرت كل حكومة شرقية على آثاره اذن كانت بلادنا مثل بلاد الغرب تماماً ولكن تقصير الحكام واعتدادهم العلم امراً ثانوياً او القاءهم عهدة ذلك على نفس الشعب الفقير الجاهل كان كل السبب في هذا التقصير

ولا يظن القارىء من كلام ذلك الواعظ الانكليزي ان بلاده جاهلة ظالمة حتى قال ذلك القول بل هو انما قاله من شدة عجبه وغضبه لشذوذ

القياس بين ما يجده في انكلترا من تمام الثروة والغنى وانتشار العلم والعناية بالشعب وبين ما رآه من حالة اولئك الغلمان وفقرهم ولكنه لو شاء ان يمدح لقال ان لندن ذات الستة ملايين نفس غير كثير عليها ان يكون فيها هذا العدد من الاشقياء فيكون فيها بين كل مليون نفس نحو مئة طريد لا مأوى لهم الا الشوارع ذلك فوق ما فيها من مئات الملاجيء والمستشفيات ونوادي التعليم المجاني وعدا ما يقام فيها من الاكتتابات المتواصلة ووصيات الموتى المتتابعة لايواء الفقير وتعليم الجاهل بحيث ان سيدنا عيسى عليه السلام لو جاء الى لندن كما ذكر ذلك الواعظ لعذر الحكومة من جهة واثنى عليها كثيراً من جهات

واما نحن كما قلنا فلا نحتاج الى من يدلنا على عيوبنا فهي ملء عقولنا وابصارنا وانما نحتاج الى من يسير بنا على مشيئة الانبياء الكرام فيكون لكل انسان رزق ولكل امرىء صحة عقل واذا لم يكن عندنا ذلك فباطلة كل هذه القصور الشامخة والجيوش الجرارة والفتوحات المتواصلة وباطل في باطل كل علم لا يكون في الناس جميعهم وحرام في حرام كل درهم يجبى من السكان ليكون نصفهم حفاة عراة وسائرهم لا همّ له الا زراعة ارضه وجمع المال للحكومة كما انه كل الاسراف ان تنفق اموال الاهالي على الزخارف الباطلة دون زخرف العلم والحيلة على حسن الاجتماع الانساني وغبطة معيشته